يسمى بالأوساط المثرية في الدائرة الصهيونية الاسرائيلية ، الاكتفاء بما سلبته اسرائيل في الماضي ، دون الخضوع لديالكتيك التطور الصهيوني كما ينادي به انصار التوسع الجشع الذي لا حدود له . من هنا ، يكون الاسرائيلي العامل صهيونيا على الرغم منه ، لان شرعية دعواه مهما اتسمت بالليبرالية قائمة في اساسها على سلب مر عليه الزمن فصار « شرعيا » يستحق الدفاع عنه أمام أصحاب الحق السابقين — وهم العرب . وامام من يهددون هذا الحق بالضياع — وهم الصهيونيون المتطرفون . ومن هنا ، يكون هذا الاسرائيلي اسير تناقضه الذي لا تسهل النجاة منه في اطار الحل الصهيوني . انه يدعو الى كبح جماح الصهيونية والى وقف اندفاعها المتوسع عند نقطة ما من الانتصار ، لا الى الغائها . ومن هنا تسقط دعاوي المدافعين عن التوسع الجديد بذرائع التوسع القديم . وتسقط كذلك دعاوي الذين ينكرون وجود توسع قديم لكي يبرروا رفضهم لتوسع جديد .

وقال يشعياهو بن فورات ، في الندوة الصحفية ذاتها ، وهو يدحض النفاق الصهيوني الذي يضفي على الصهيونية اخلاقيات غريبة عنها : ان الحريات الصهيونية اللاعنيفة واللامسكرية ، لم تتغنى على الصهيونية الاخلاقية التي تتحدثون عنها . فمنذ السابعة من عمري تربيت على العمل العسكري لاحتلال البلاد . لقد نموت في النمسا مع الاحساس بأنه سيجيء يوم نحتل فيه البلاد بقوة الذراع . وعلموني على الاستهتار بالمواطنين العرب . وعلموني على ان ارض اسرائيل لنا ، وان بوسع العرب المقيمين هناك ان يستمروا في العيش بشرط الا يزعجونا . واذا ازعجونا فسنطردهم . وعندما هاجرت الى البلاد وعشت في الكيبوتس لم يربوني على احترام العربي ، ولم يربوني على ان العرب واليهود سيعيشون معا . كان التفكير الخفي ، والواضح احيانا ، هو ان العرب سيذهبون ونحن نبقى . ومنذ عام ١٩٤٥ كان واضحا لنا جميعا أن حربنا ليست لطرد البريطانيين فقط وانما لطرد العرب . وكنا ، في الكيبوتسات ، ننظر الى القرى العربية المجاورة ونقسم اراضيها في ما بيننا » .

ومن المفارقات الغريبة ، في هذه المناقشات حول اخلاقية الصهيونية ، أن تجد الاكثر تطرفا في اتجاه المزيد من التوسع ينفون عن مرحلة التطبيق الصهيوني بعد حرب حزيران ١٩٦٧ صفة السلب والنهب وتحدثون عن هذه الصفات في المرحلة السابقة . فقد كتب اليعزر لبنه في هارتس (٨/٥) : « لقد حدث تغير في الاستيطان الصهيوني اليوم ، بالنسبة لاساليبها قبل حرب الايام الستة ، ففي عهد الانتداب تركز الاستيطان اليهودي بالاساس في المناطق الماهولة نسبيا . وتطلبت اقامة مستوطنة او مدينة يهودية او كيبوتس طرد قرية عربية سابقة . وليس المقصود فقط المدن والقرى والكيبوتسات التي قامت مكان القرى العربية المهجورة ، بل مستوطنات قامت على انقاض قرى عربية مهجورة . والان بعد حرب الايام الستة يختلف الامر من اساسه . فالمناطق في سيناء وفي غور الاردن ، وفي المناطق الشرقية من الضفة الغربية ، وفي هضبة الجولان وجبل الشيخ خالية من السكان . والغريب في الامر ظهور القلق الان من سلب العرب . السبب ليس في الارض ، بل في الشعور الذاتي : افكار كانت تميز العناصر المعادية كليا للصهيونية ، أخذت تتغلغل في المعسكر الصهيوني » .

ولكن محاولة هذا الكاتب لتبرئة الصهيونية من السلب ، بحجة ان مسرح السلب خال من السكان ، تتعثر عندما يفسر اهداف الصهيونية ، في حديثه بندوة يديعوت احرونوت ، بقوله : « اننا نعود الى هذه البلاد لنركز فيها الشعب اليهودي كله وحين يواجه بسؤال صعب : لمن هذه البلاد ؟ يجيب بسهولة شديدة : « ان ارض اسرائيل ، سواء كانت خالية ام ماهولة ، هي للشعب اليهودي » . وحين يجابه بسؤال صعب اخر : وما هي حقوق العرب ؟ يجيب بسهولة شديدة : « للعرب حقوق شخصية وطائفية ، ولكن البلاد لليهود . واذا كان من الممكن الاتفاق مع العرب ، فيجب ان يتم الاتفاق » . اي — يجب ان يتم الاتفاق مع العرب على اساس اعترافهم بأنهم طارئون على فلسطين ، وان الحق اليهودي مطلق وغير قابل للمناقشة .

ويختتم النائب شموئيل تمير المناقشة حول الصهيونية عام ١٩٧٢ بقوله : « انها في احسن احوالها منذ ولدت . في أيدينا الان اكبر منطقة ، واقوى جيش يهودي . والهجرة تأتي من الغرب ومن الشرق . والولايات المتحدة الامريكية تنظر الينا كحليف ، والسياسيون الامريكيون يهتمون بما يقال في القدس أكثر من اهتمامهم بما يقال في باريس عشية انتخابات الرئاسة » .

في مثل هذا المناخ تجري المناقشة حول « اخلاق »